

استدارة حكومية نحو الصوفيين لمواجهة تصعيد الحركة الإسلامية في السودان

حمدوك يغازل الطرق الصوفية ويؤكد على دورها الوطني في نشر سماحة الإسلام



روحانية التصوف ضد انتهازية الإسلام السياسي

العمره مؤخرًا ونظم حتى الآن زيارتين لشيوخ الصوفية إحداهما في منطقة شمال بحري، والثانية أخيرا في جنوب الخرطوم، ومن المتوقع أن تطال زيارته مناطق أخرى الأيام المقبلة. وبعثت الحكومة برسائل قوية إلى المجتمع الصوفي تؤكد أنها قريبة من توجهاته الفكرية وأن مضيتها قدما باتجاه فصل الدين عن الدولة لن يأتي على حساب تدينهم الفطري، والتأكيد على أن هناك فرقا كبيرا بين التشدد الذي تدعو إليه الحركة الإسلامية وبين حرية ممارسة الشعائر الدينية لكافة المواطنين وفقا للمنطق الصوفي. ولا يفصل العديد من المتابعين بين الجهود الفاعلة التي تقوم بها وزارة الأوقاف السودانية على مستوى مواجهة الأفكار المتطرفة عبر الاستعانة بشيوخ الأزهر لتدريب الدعاة وتبني المبادرات التي تعمل على الارتقاء بالخطاب المقدم من خلال المساجد، وبين التحركات الحالية نحو الصوفيين، لأن الحكومة بدت ساعية لتدعيم الثقة بينها وبين مردي وبناء هذه الطرق للتأكيد أنها تدعم الخطاب الوسطي وتجاوبه التطرف بجميع أنواعه سواء أكان إسلاميا أم علمانيا.



وأشار وزير الشؤون الدينية والأوقاف نصرالدين مفرح إلى أهمية الدور الذي تلعبه الخلاوي في نشر الدين الوسطي المتسامح الذي يقوم على المحبة، وأن زيارة حمدوك للشيخ باقوت تعزز السلام الاجتماعي الذي تسعى الحكومة لتحقيقه. وبظل الخطر كامنا في رد فعل الحركة الإسلامية على الجهود التي تبذلها الحكومة لعدم التفريط في ورقة الصوفيين وطبيعة التحركات خلال الفترة المقبلة، حيث يمكن أن تضاعف من التسخين في الشارع قبل أن تتمكن الحكومة من ترتيب أوضاعها مع الصوفيين وهو ما يجعلها تعمل بشكل حثيث للخروج من المطبات السياسية.

وتعول على عامل الوقت لإعادة تثبيت دعائمها مرة أخرى، ووسيلتها لتحقيق ذلك الهدف ستكون استمالة الطبقات الاجتماعية التي يلعب الخطاب الديني دورا مهما في توجيه مواقفها السياسية. وتبني الحركة الإسلامية تحالفاتها الجديدة على أطراف مغايرة لما كانت في السابق لأن غالبية قياداتها وشبابها التابعين لها فروا إلى قطر وتركيا على مدار العامين الماضيين وسط حالة من السبولة الأمنية سمحت بهروب تلك العناصر، وبالتالي فالتركيز حاليا يتم على تجنيد مجموعات شبابية قد تكون صوفية الهوى ويسهل استقطابها من خلال الخطاب الديني الذي يجري تصعيده في الوقت الحالي.

تسخين في الشارع

استطاعت قوى سياسية محسوبة على الحركة الإسلامية أن تستقطب بعض الطرق الصوفية لتكون طرفا في معارضة التطبيع مع إسرائيل، ودشنحت حركة "قناوم" التي تضم عددا من الأحزاب المتحالفة مع نظام البشير حملة لحشد مشايخ الطرق الصوفية لرفض التطبيع في مارس الماضي، وعقدت لقاء مع الشيخ عبد الوهاب الشيخ الكباشي شيخ الطريقة القادرية الكباشية بشمال الخرطوم بحري، لبحث التعاون المشترك بين كافة الأجسام لمقاومة التطبيع. والخطر الأكبر قد يكون عبر التحالف بين الحركة الإسلامية وبعض الصوفيين بشأن رفض تطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة، ولم يتحول هذا التحالف إلى أمر واقع حتى الآن، لكن استخدام المساجد في تسيير مظاهرات رافضة لهذا التوجه على مدار أشهر بشكل تهديدا للحكومة التي بدأت خطة تعزيز علاقتها مع الصوفيين. وقال المحلل السياسي الشفيع أديب إن الحكومة في تشكيلتها الجديدة وضعت برنامجا شاملا حول كيفية التعامل مع الطبقات الاجتماعية المختلفة بعد أن انفصلت عن الواقع ووجدت أن هناك تحالفات خفية يجري تشكيلها وتأخذ أبعادا دينية بما يهدد التماسك الظاهر الذي يسود مكونات المرحلة الانتقالية.

وأوضح في تصريح لـ "العرب" أن رئيس الحكومة الذي كانت صورته راسخة في أذهان المواطنين على أنه شخص يساري لا يهتم كثيرا بالجوانب الدينية غير من سلوكه وحرص على أن يظهر بملابس الإحرام في أثناء أداء

مساحات شاسعة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا بحاجة إلى استراتيجية عامة للتفاعل مع الجهود الاجتماعية التي تقوم بها هذه الطرق وتلامس أدوار المجتمع المدني بمفهومه الحديث. ولا تستهدف الطرق الصوفية من وراء أدوارها الفاعلة تحقيق مآرب سياسية وهو ما قد يشكل عاملا مساعدا لانفصاح الحكومة عليها من دون أن تكون هناك فاتورة سياسية تجد نفسها مضطرة لدفعها، وأن تكون العلاقة قائمة على التقارب الفكري من خلال تجديد الخطاب الديني وتصويبه وتوظيف روح الصوفية المؤثرة في وجدان السودانيين لمجابهة خطابات التحريض والعنف السياسي على الجانب الآخر. وتنطلق رؤية الأطراف المشاركة في السلطة الانتقالية، بما فيها حزب الأمة القومي، على ضرورة تسليط الضوء على الطرق الصوفية بمختلف اتجاهاتها والعمل على مساعدتها على تنظيم صفوفها والتخلص من الأداء التقليدي القائم على البهتة وتعدد التوجهات ودعم جهودها في بناء مؤسسات دينية أكثر مدنية، وتقديم نفسها إلى المشهد السياسي بصورة حديثة، والتواصل مع قادة الثوار الشباب في الشارع. وتبدو الاستدارة الحالية نحو الصوفيين غير واضحة النتائج لأن الأحزاب السياسية بحثت عن مصالحها في الوصول إلى السلطة دون مراعاة للحاضنة الشعبية التي أسهمت في إسقاط نظام البشير ويشكل التيار الصوفي أحدها، وهو أمر تستغله جيدا الحركة الإسلامية التي وجدت في الروح الصوفية طريقا للبقاء على رأس السلطة لأكثر من 30 عاما. وكلما تأخرت الحكومة في الانفتاح على التيارات الصوفية كان الأمر أكثر صعوبة لأن الحركة الإسلامية وإن بدأت في خطط عمل سريعة على الأرض لاستعادة نفوذها غير أنها مازالت معزولة اجتماعيا ولا تحظى بتأييد شعبي قوي،

لـ "العرب" أن التوظيف السياسي لعادات السودانيين في شهر رمضان من جانب الحركة الإسلامية قابلته على الجانب الآخر تحركات سياسية من الحكومة باتجاه التيار الصوفي، وهي تبعت برسائل عديدة مفادها أن المواجهة الأمنية هي مصير التعامل مع عناصر النظام السابق والتحالف مع الطرق المناهضة له جزء من هذه المواجهة.

تفاعل اجتماعي

تحتاج الحكومة إلى جهود أكبر، إذا سعت فعلا للاستفادة من الحضور المجتمعي الواسع للصوفيين في السودان لأن الطرق الصوفية التي يتخطى عددها 40 طريقة وتنتشر على



لا توفر الحكومة السودانية، وهي تحاول بكل ما أوتيت من جهد تأمين المرحلة الانتقالية بالغة الصعوبة، وسيلة لاستمالة أوسع طيف ممكن من المجتمع الذي أصبح أكثر من أي وقت مضى مستنفرا للثورة بعد تحرره من عقال فترة الكبت الطويلة التي عاشها تحت حكم نظام عمر حسن البشير. وتدرك حكومة عبد الله حمدوك خطورة لعب حركات الإسلام السياسي على المشاعر الدينية للمجتمع المحافظ، وتعمل في ضوء ذلك على مقارعة تلك الحركات على ميدانها عبر التقرب من الطرق الصوفية واستخدام ما لها من تأثير على شرائح اجتماعية واسعة.

الخرطوم - بدت الحكومة الانتقالية في السودان أكثر حرصا على استمالة التيار الصوفي ذي المقبولية الكبيرة لدى غالبية المواطنين، بعد أن أدركت أن التهميش الذي طال هذا المكون لن يكون في صالح السلطة، وأن مواجهة الحركة الإسلامية وخطابها التحريضي الذي تقيمته على التفاهات بين الحكومة والحركة الشعبية لتحرير السودان جناح عبدالعزيز الحلو بشأن فصل الدين عن الدولة، تتطلب دعم الخطاب الفكري الوسطي الذي تتبناه الطرق الصوفية.

وغازل رئيس الوزراء عبدالله حمدوك زعماء الصوفية بزيارته إلى مسيد وخلاوي الشيخ باقوت وهو أحد أبرز شيوخ الصوفية الذين ناهضوا نظام عمر البشير وتناول إفطار رمضان مع مرديده وبنائه وافتح الدور الراسخ الذي ظلت تلعبه الطرق الصوفية في نشر الإسلام في السودان وأفريقيا بصورة عامة، ودورها كذلك في دعم التعايش السلمي ورتق النسيج المجتمعي بالبلاد.

وغازل رئيس الوزراء عبدالله حمدوك زعماء الصوفية بزيارته إلى مسيد وخلاوي الشيخ باقوت وهو أحد أبرز شيوخ الصوفية الذين ناهضوا نظام عمر البشير وتناول إفطار رمضان مع مرديده وبنائه وافتح الدور الراسخ الذي ظلت تلعبه الطرق الصوفية في نشر الإسلام في السودان وأفريقيا بصورة عامة، ودورها كذلك في دعم التعايش السلمي ورتق النسيج المجتمعي بالبلاد.

وغازل رئيس الوزراء عبدالله حمدوك زعماء الصوفية بزيارته إلى مسيد وخلاوي الشيخ باقوت وهو أحد أبرز شيوخ الصوفية الذين ناهضوا نظام عمر البشير وتناول إفطار رمضان مع مرديده وبنائه وافتح الدور الراسخ الذي ظلت تلعبه الطرق الصوفية في نشر الإسلام في السودان وأفريقيا بصورة عامة، ودورها كذلك في دعم التعايش السلمي ورتق النسيج المجتمعي بالبلاد.

الحركة الإسلامية تعمل على استقطاب الطرق الصوفية وجذب مكوناتها التي هادنت نظام البشير ولم تعارضه

وحملت تصريحات حمدوك، على هامش الزيارة التي شدد فيها على أن الدين الإسلامي محمي بالإرث الصوفي ودعاهم لإنشاء معهد ديني في المنطقة لتعليم صحيح الإسلام، تأكيداً على أن الحكومة أدركت خطر الفجوة الاجتماعية التي تركت وتستغلها الحركة الإسلامية لاستقطاب المواطنين وتشويه صورة السلطة الانتقالية برمتها باعتبارها ساعية لهدم الدين وثوابته من خلال تبني رؤى تؤسس لدولة مدنية حديثة. وجاءت زيارة حمدوك السبت الماضي بعد يوم واحد من تشييع الآلاف من أنصار الحركة الإسلامية جثمان أمين عام الحركة الزبير أحمد الحسن والذي وافته المنية، الجمعة، بعد نقله من محبسه بسجن كوبر إلى مستشفى بالخرطوم جراء تدهور حالته الصحية تزامنا مع زيادة وتيرة تحركات العناصر المحسوبة على الحركة، وحاولت أن تعبّر عن وجودها من خلال موافد الإفطار الجماعية التي تنظمها وتستهدفها قوات الأمن. ويوجد خطاب الحركة الإسلامية أذانا صاغية في الشارع لأنه يستغل الأوضاع الاقتصادية الصعبة للوصول إلى فئات أمنت بالثورة وأهميتها بهدف تجنيد الشباب عبر التشكيك في جدوى الحراك الشعبي ضد نظام البشير، وتصوير جهود الحكومة في إزالة التمكين بأنها عدوان على الدين الإسلامي، وتربط الحركة بين الأمرين لتبرهن على أن استعادتها السلطة هي السبيل الوحيد لتحسين الأوضاع وتطبيق الشريعة الإسلامية.

متغيرات سياسية

يرى مراقبون أن هناك جملة من المتغيرات التي تدفع الحكومة لتوجيه بوصلة اهتماماتها نحو الصوفيين، لأن خطاب الحركة الإسلامية أخذ طابعا عاثيا بشكل علني خلال الأيام الماضية، وبدا أن المحركين لأفعال الحركة لديهم رغبة في إثارة العنف والبحث عن مظلوميات جديدة لعرقلة مسارات المرحلة الانتقالية.